

# أهمية تخرج جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (١٦٦٠م)

منذ أن اهتم المسلمون بإنشاء نجر جدة في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان (١) وهو يكتسب مع مرور الزمن أهمية دينية واقتصادية واستراتيجية الى أن أصبح من أهم الثغور في الجزيرة العربية والبحر الأحمر ، وقد حظى بهذه المكانة لأنه ميناء أم القرى مكة المكرمة ، ومفتاحها الى البحر والعالم ، فاليه يصل حجيج بيت الله الحرام الذين يركبون البحر ، ومنه تزود العجاز وقلب الجزيرة العربية بالمؤن والبضائع من شتى بقاع العالم ، وغدت لجدة أهمية تجارية على مر الأيام فأصبحت مركزا من مراكز تجارة العالم في العصور الوسطى تلتقي فيها السفن الآتية من الهند وشرق إفريقيا بالسفن القادمة من مصر ، فكانت أغلب السفن تفرغ حمولتها في جدة وتعود بسرعة الى الهند قبل فوات موسم الرياح ، ثم تقوم سفن أخرى بحمل هذه البضائع الى السويس حيث تجد طريقها عبر مصر الى أوروبا .

وقد عرف الحكام المسلمون عبر العصور الاسلامية لبيان جدة هذه  
الأهمية الدينية والاقتصادية فاهتموا بممارته وتحسينه .

وفي العصر المملوكي تطلع سلاطين المماليك في مصر الى الاهتمام  
بحماية الحرمين الشريفين وتأمين سبل الحج والعناية بشتر جدة لأهميته ،  
فتدخلوا لتوطيد حكمهم في الحجاز ، ففي سنة ٦٦٧هـ حج السلطان الظاهر  
بيبرس وعين نائبا له بمكة يرجع اليه اشراف مكة في المهمات ، ويكون الحل  
والمقد على يديه (٢) ، وهو شمس الدين مروان ، ومن تلك السنة استمرت  
هذه الولاية بمكة الى آخر دولة قانصوه الغوري ، وكان يطلق على نائب  
السلطان المملوكي بمكة اسم « باشا مكة » أو « باشا الترك » (٣) .

اما جدة فقد عين المماليك بها حاكما عاما كان يسمى « نائب جدة »  
ويقسم في مقر يطلق عليه « دار النياحة » أو « فرضة السلطان » (٤) يطل  
على ميناء جدة مباشرة لكي يشرف منه على الحركة التجارية العالمية .

وثمة نص ذكره المؤرخ قطب الدين النهروالي في كتابه « الاعلام بأعلام  
بيت الله الحرام » فيه اشارة الى هاتين الامارتين بمكة وجدة ، وذلك عندما  
تحدث عن أمر السلطان قايتباي في سنة ٨٨٤هـ بفصل البيت الشريف من  
داخله ومن خارجه وغسل المطاف وذلك لرؤيا رآها فقال : « فحضر شريف  
مكة وقاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة وباشا الترك الراكز بمكة  
الأمير قايتباي اليوسفي والأمير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الأمير جاني  
بك نائب جدة المعصومة .. وغيرهم .. وغسلوا الكعبة الشريفة من  
داخلها .. ومن خارجها .. وسائر المطاف » (٥) .

وفي مطلع القرن العاشر الهجري ( السادس عشر الميلادي ) ظهرت  
أهمية جدة في الدفاع عن الحرمين الشريفين والبحر الأحمر في وجه الأتباع  
البرتغالية فعمل سلطان مصر يومئذ الأثراف قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ)  
على تقويتها وبناء الاستحكامات اللازمة للدفاع عنها .

ذلك أن البرتغاليين نجحوا في عامي ٩٧/١٤٩٨م في الالتفاف حول  
افريقيا مرورا براس الرجاء الصالح (٦) وتمكنوا بذلك من الالتفاف حول  
العالم الاسلامي تعدوهم رغبة انتقامية امتزجت فيها الدوافع الاقتصادية  
بالعوامل الدينية التي كانت تدفعها روح صليبية جارفة جعلت المسيحيين  
البرتغاليين أكثر تحمسا وشراسة في مطاردة المسلمين والانتقام منهم في عقر

دارهم ، وازدادت هذه الرغبة تأججا وضراوة وعنفا عندما نجحوا في الوصول الى الهند (٧) سنة ١٤٩٨ م .

وشجعت البابوية في روما هذا المخطط الصليبي لغزو الاسلام في عقر داره ، وتورط بعض البابوات فوسفوا الاسلام في مراسيمهم بأنه طاعون ، وباركت البابوية عملية الانخراط في الحملات البرتغالية ، فكان البابا يمد المشتركين في تلك الحملات بالنجاة من النار يوم الحساب ، وكانت سفنهم تخرج ناشرة أشرفها وعليها الصليبان مرسومة يرافقتها دعاة المسيحية المتعصبون لنشرها (٩) .

وبعد أن ثبتت أقدام البرتغاليين في الهند بدأوا يقومون بأشنع أعمال القرصنة في المحيط الهندي ومدخلي البحر الأحمر والخليج العربي ويناثون التجارة الاسلامية التي كانت في يد الحكومة المصرية ، فعملوا على مهاجمة السفن الاسلامية واغراقها أو الاستيلاء عليها .

وكان يرادو البرتغاليين أمل يزجون تحقيقه في أسرع وقت وهو الاتصال بملك الحبشة المسيحي للتحالف معه لرسم مخطط لضرب القوى الاسلامية في البحر الأحمر والاستيلاء على ( جدة ) مركز المقاومة الاسلامية والولوج منها الى مكة لضرب العالم الاسلامي في أغلى مقدساته .

ومن ثم تسلل البرتغاليون في مياه البحر الأحمر سنة ١٥٠٥ ، وفي سنة ١٥٠٧ استولوا على جزيرة سوقطرة (١٠) للسيطرة على مدخل البحر الأحمر .

وفي غضون ذلك تنبه المماليك في مصر لخطورة الغزو البرتغالي الذي استهدف حرمانهم من التجارة العالمية وبدأ يهددهم في مقدساتهم وأملاتهم ، وتركزت خطتهم تجاه هذا الغزو في تقوية حكمهم في اقاليم البحر الأحمر وتحصين سواحله وعلى الأخص ثغر جدة لأهميته في حماية الأراضي المقدسة الاسلامية ، فاعد الأشرف قانصوه الغوري حملة بحرية بقيادة الأمير حسين الكردي في سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥م) مهمتها تحصين جدة أولا لتكون على استعداد لصد أي عدوان مفاجيء تتعرض له ثم تقوية ثغور اليمن والتوجه الى الهند بعد تأمين خطوط العودة الى مصر .

ويذكر ابن اياس أن جنود حملة حسين الكردي كانوا في مجموعهم من جنود الطبقة الخامسة أي من العساكر التي جردها الغوري في أيامه (١١)

وكانوا يتكونون من المغاربة الذين يرأسهم أميرهم على المسلاتي ، باش  
المغاربة ، ومعهم ، بعض أولاد الناس وبعض ممالك سلطانية والغالب فيهم  
مغاربة وعبيد سود رماة وتراكمة وغير ذلك ( ١٢ ) ومعهم فريق من البنائين  
والتجارين وكثير من العمال لأقامة التحصينات اللازمة كما سنرى فيما يلي .

وعلى الرغم من أن السبب الرئيسي في اعداد هذه الحملة هو الغزو  
البرتغالي كما ينص على ذلك ابن اياس وغيره من المؤرخين ، الا أن صاحب  
كتاب ، السلاح والعدة في تاريخ جدة ( ١٣ ) يضيف سببا آخر لهذه الحملة  
وهو : عمليات السلب والنهب التي قام بها عربان بني ابراهيم ( ١٤ ) لحجاج  
بيت الله الحرام ونهبهم لمكة وجدة ولم يكن حينئذ على جدة سور وعلى الرغم  
من قرب صاحب كتاب السلاح والعدة من تلك الفترة التاريخية الا أنه يغفل  
عن الأسباب الرئيسية التي دفعت الفوري الى ارسال هذه الحملة ويجعل  
سببها الرئيسي هو أعمال السلب والنهب والتخريب التي قام بها عربان  
بني ابراهيم ومن شايهم .

وعلى الرغم من عدم احاطة صاحب ، السلاح والعدة ، بالظروف  
والملايسات السياسية والعسكرية التي احاطت بحملة حسين الكردي الا أنه  
يعتبر أهم مصدر وصف لنا عملية تحصين جدة وبناء سورها على يد المصريين  
في عهد قانصوه الغوري كما وصف السور وصفا دقيقا لا نجده في مصدر  
سواه .

ونظرا لأهمية هذا الوصف ولأن هذا السور الذي بناه المصريون ومعهم  
بعض الحجازيين كان من أهم العوامل التي دفعت عن جدة عادية البرتغاليين  
أكثر من مرة فسنتناول هذا الوصف بشيء من التفصيل فيما يلي :

يذكر الشيخ عبد القادر بن فرج أنه بمجرد وصول حسين الكردي  
وجماعته الى جدة شرع في عمارة السور التي تمت في تسعة أشهر ( تمت في  
ذي الحجة من سنة ٩١٢ هـ ) بما في ذلك الأبراج العالية ودار النياية ( ١٥ )  
في جدة وجامع الميناء ومصل العيد .

ومما هو جدير بالذكر أن الشريف بركات شريف مكة ساعد في عملية  
بناء السور وملحقاته وساعد في نزع ملكية بعض البيوت التي كانت قريبة  
من السور منها بيت الصابوني وكان في جهة السور من ناحية اليمن ، وبيت  
الدهمي في جهة الشام ، وصار محل البيوت آثار تدل عليها ، كما حضر

الشريف بركات بنفسه عملية البناء . وكان في بعض الأيام يقف على العمارة راكبا فرسه ، ليحضر لحضوره جميع من في البلد ويعينون بالعمل للمونة الكبير منهم والصغير والفني والفقير والمأمور والأمير ، ( ١٦ ) .

وبذلك يتضح لنا أن عملية تحصين جدة شارك فيها مع المصريين الشريف بركات وأهل جدة على كل المستويات ، ولعل هذا هو السبب في براعة العمارة وسرعتها في مدة وجيزة كما يشير الى ذلك عبد القادر ابن فرج .

وكان ارتفاع السور من الأساس حتى أعلاه ( ١٢ ذراعا ) وطول محيطه من ناحية مكة واليمن والشام ٣٠٠٠ ذراع وعرض جداره أربعة أذرع ، أما الأبراج فكانت ستة أبراج ومحيط كل برج منها ستة عشر ذراعا وارتفاعه من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعا ، منها برج شامي تجاه الشمال وآخر يمانى تجاه الجنوب وبرجان قبليان تجاه مكة ملاصقان لبابين يسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن والآخر يسمى باب النصر وهو الأيسر . أما البرجان البحريان فقد نزل بهما الفواصون في البحر اثنا عشر ذراعا ( ١٧ ) .

كما كان من تمام هذا العمل حفر خندق محيط بالمدينة من جميع نواحيها . وبعد اتمام البناء وحفر الخندق زود الماليك المدينة بكثير من المدافع والعتاد العربي ، وكان جملة ما صرف على عمارة السور وملحقاته ( الأبراج ودار النيابة وجامعها ومصلى العيد وحفر الخندق ) مائة ألف دينار غوري ( ١٨ ) .

وتتضح لنا من عملية بناء سور جدة الحقائق التالية :

أولا : أن الشريف بركات ومعه جم غفير من أهل جدة على كل المستويات ، الكبير والصغير والفني منهم والفقير والأمير والمأمور ، شاركوا مع المصريين في عملية بناء سور جدة في همة ونشاط .

ثانيا : أن المصريين هم أول من وضع حجر الأساس ( ١٩ ) في الاهتمام بشرف جدة وتقويته في عصر قانصوه الغوري بعد أن أصبح مستهدفا من البرتغاليين .

ثالثا : أن بناء السور كان قويا بأبراجه العالية وخندقه المحيط به

وتسليحه الامر الذي جعل من جدة صخرة تحطمت عليها آمال البرتغاليين في نهاية العصر المملوكي وبداية العصر العثماني .

وبعد أن أنجزت الحملة المصرية عملية تحصين جدة توجهت الى الهند وأحرزت انتصارا جزئيا أمام الاسطول البرتغالي في مياه « ديو » في خريف عام ١٥٠٨م . ( ٩١٤هـ ) بالتعاون مع المسلمين الهنود إلا أن البرتغاليين سارعوا في تجميع قوتهم البحرية لمواجهة التحالف المصري الهندي وأحرزوا نصرا حاسما في ٣ من فبراير ١٥٠٩م وهي المعركة المعروفة في التاريخ بمعركة ( ديو البحرية ) ، تلك المعركة التي أنهت عهدا من السيطرة المصرية على طريق التجارة البحري الى الهند .

وقد تضاءلت بعد معركة ديو البحرية الأهمية التجارية للبحر الأحمر الى حد بعيد ، تلك الأهمية التي ظل يتمتع بها طوال العصور الوسطى ، وانتقل مركز الثقل منه الى طريق رأس الرجاء الصالح وساحلي أفريقيا الشرقي والغربي ذلك الطريق الذي غدا يزخر بخطوط ملاحية لأول مرة في التاريخ بين أوروبا وأفريقيا الشرقية والهند وغيرها من بلدان الشرق الأقصى حتى فتحت قناة السويس للملاحة الدولية سنة ١٨٦٩م . وعسودة النشاط التجاري الى البحر الأحمر وموانئه من جديد .

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها المصريون في الهند نقل البرتغاليون معركتهم البحرية الى البحر الأحمر وهددوا اليمن والحجاز ومصر فتوغلوا في البحر بقيادة ( البوكيرك ) وخربوا ميناء عدن في المحرم من سنة ٩١٩هـ ( ١٥١٣م ) وفي أواخر صفر من نفس العام استولوا على جزيرة « كمران » ( ٢٠ ) ، ثم حاربوها وتركوها متجهين شمالا قاصدين جدة ، وكانت خطة البوكيرك ترتكز على التقدم نحو ميناء مصوع التابع للعبشة ليتمكن من الاستيلاء على جزر تهلك المواجهة لجدة ثم يعد منها لمهاجمة جدة ، ويمهد منها أيضا لاقامة علاقات تحالف ضد المسلمين مع امبراطور العبشة للقضاء على قوة مصر في البحر الأحمر ومهاجمة الأماكن المقدسة الاسلامية .

ولقد حاول البوكيرك مواصلة مشروعه الكبير وهو مهاجمة جدة فاتجه لذلك شمالا ولكنه جوبه بريح صرصر عاتية أجبرته على الرجوع قبل أن يصل الى جدة ، فعاد يباشر القرصنة والتخريب في موانئ البحر الأحمر فأحرق السفن الراسية في ميناء زيلع وعاد الى عدن فضربها بالمدافع نحو اسبوعين ( ٢١ ) .

وكانت القوات المصرية قد عادت إدراجها الى مصر بعد أن ترك حسين الكردي بعضها في جدة وذهب الى ميناء السويس لبناء قوة بحرية يستطيع بها مجابهة الاسطول البرتغالي المتفوق ، واتجه السلطان الغوري الى العثمانيين يطلب مساعدتهم في شراء ما يحتاجه من أخشاب وأدوات لصناعة السفن فأمر السلطان بايزيد الثاني ( والد سليم فاتح مصر ) بإرسال ثلاثين مدفعا وثلاثين ألف سهم وأربعين قنطارا من البارود ، وغير ذلك من عتاد الحرب هدية الى مصر دون مقابل كما أرسل نحو ألفين من البحارة العثمانيين للمساعدة في اعداد الاسطول في ميناء السويس والمشاركة في الحملة البحرية المنتظرة على الهند برئاسة سلمان الرئيس الذي أطلق عليه ابن ايماس « سلمان الروسي » والذي أصبح قبطانا للاسطول المملوكي بعد اعداده .

وبينما كان المصريون يعدون لبناء قوة بحرية في السويس وصلتهم الأخبار بأن البرتغاليين غادروا الهند بقيادة البوكيرك بحملة في فبراير سنة ١٥١٥م ، وتوجهوا الى البحر الأحمر وكان هدفهم من هذه الحملة هو تخريب جدة ومكة . فأرسل الغوري على الفور قوة بقيادة الأمير حسين الكردي نائب جدة (والذي كان يباشر عملية اعداد الاسطول الكبير بالسويس) (٢٢) . فما كاد حسين الكردي يصل الى جدة حتى قام بشقوة أسوارها ودفاعاتها مرة أخرى . وجمع بعض الأموال من أهالي جدة لمعاونتته في مهمته واضطر الى مصادرة أموال بعض تجار جدة . كما ألزم الناس للعمل في تحصيناته لجدة . وعلى الرغم من هذه الظروف الحربية الاستثنائية التي تبيح للقائد جمع الأموال من المواطنين وتجنيدهم في العمل للدفاع عن أوطانهم الا أنه لم يسلم من انتقاد بعض المؤرخين المعاصرين له وسخطهم عليه (٢٣) .

وبينما كانت الحملة البرتغالية في طريقها الى البحر الأحمر لتحقيق غرضها وصلها خبر بقيام ثورة في جزيرة ( هرمز ) التي سيطر البرتغاليون عليها في مدخل الخليج العربي . فاتجه البوكيرك اليها ، وما أن سيطر على الأوضاع فيها حتى اشتد به المرض وعاد الى مركزه في الهند حيث توفي بعد وصوله مباشرة . ونجت ( جدة ) و ( مكة ) من التخييب المنتظر مرة أخرى .

وبعد أن أتمت القوات المصرية استعدادها البحري في السويس وجدة خرجت من الشواطئ المصرية وقامت بعملية تحصينات في موانئ البحر الأحمر وخاصة في الثغور اليمنية التي كانت في حاجة الى تحصينات على غرار التحصينات التي أقيمت في جدة من قبل وذلك لاجلئ البحر الأحمر أمام

البرتغاليين وتأمين خط الرجعة للقوات المصرية ، ولكن مما يؤسف له أن حسين الكردي اشتبك بقواته مع أمراء اليمن عندما رفضوا إقامة هذه التحصينات وقام المصريون بمهاجمة السواحل اليمنية بالقوة ، وتطور الصراع حتى انتهى بقتل السلطان « عامر بن عبد الوهاب » سلطان صنعاء واحتل المصريون صنعاء ، واضطرت القوات المصرية في بادئ الامر لغرض الحرب مع اليمنيين للدفاع عن أنفسهم أثناء إقامة التحصينات ، ولكن هذه المعارك تطورت تطورا خطيرا أبعد الحملة عن هدفها الأصلي ، وبذلك يصح أن يقال عن هذه الحملة بأنها غرقت في اليمن ومشاكله قبل الوصول الى مياه الهند .

وفي غضون ذلك تنبه العثمانيون لضعف الماليك ( الذين وقع على كاهلهم الدفاع عن البحر الأحمر ضد البرتغاليين في الجنوب ومحاربة فرسان القديس (٢٤) يوحنا في البحر المتوسط في الشمال ) فبدأ العثمانيون يتدخلون في المنطقة لملاء الفراغ العسكري الذي أصبح واضحا بعد أن فشل الماليك أمام الزحف البرتغالي أكثر من مرة ، وأصبح الطريق مفتوحا أمام البرتغاليين لتحقيق هدفهم نحو الأراضي المقدسة الاسلامية ، فبدأ العثمانيون يتدخلون وكان تدخلهم سلميا على نحو ما رأينا بحجة مساعدة الماليك في حربه ضد البرتغاليين ، وتأكد لهم عن قرب ضعف القوة الملوكية فأعدوا أنفسهم لملاء هذا الفراغ .

وفي صفحات ابن اياس اشارات كثيرة الى الآثار السيئة التي نجمت عن استيلاء البرتغاليين على التجارة الشرقية وأعمالهم التخريبية ضد السفن والثغور الاسلامية فيقول ابن اياس في حوادث المحرم من سنة ٩٢٠ هـ مانصه : « وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص في غاية الانشعاب والتعطيل ، فان بندر الاسكندرية خراب ولم تدخل اليه القطائع ( البضائع ) في السنة الغالية . وبندر جدة خراب بسبب تبعث الفرنج ( البرتغاليين ) على التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع الى بندر جدة نحو من ست سنوات وكذلك جهة دمياط ، ( ٢٥ ) » .

بذلك انهارت امكانيات مصر الاقتصادية وألقت هذه الحالة الاقتصادية السيئة بظلها على الأوضاع العسكرية المصرية . فضعفت قوة المساليك العسكرية وتدهورت قدرات مصر الدفاعية ، الأمر الذي أغرى البرتغاليين والعمانيين بالوثوب على أملاكها ، وقام سباق رهيب بين البرتغاليين من الجنوب والعمانيين من الشمال لملاء هذا الفراغ ، وحاولت كل من الدولتين أن ترث الدولة الملوكية المتهاكمة .



وبينما كان البرتغاليون يعملون المرة تلو المرة على التوغل في البحر الأحمر حتى هاجموا جدة في عام ١٥١٧م كان العثمانيون قد نجحوا في خلال عام ١٥١٦م وأوائل عام ١٥١٧م (٩٢٢ - ٩١٣هـ) في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية في الشام ومصر . ولم يتمكن الغوري من الانتصار في لقائه الأول مع العثمانيين في موقعة ( مرج دابق ١٥١٦م ) لأنه كان مشغولا بالدفاع عن البحر الأحمر ضد الزحف البرتغالي ، وكانت قواته المتباغضة موزعة في كثير من ثغوره وخاصة في ثغور اليمن والحجاز . كما كان يقاوم ضربات فرسان القديس يوحنا المتكررة في البحر المتوسط .

وعندما دخل السلطان سليم القاهرة في المحرم من سنة ٩٢٣هـ وتغلب على مقاومة طومان باي آخر سلاطين المماليك وشنقه على باب زويلة بالقاهرة في ٢١ من ربيع الأول ٩٢٣هـ ( ١٣ من أبريل ١٥١٧م ) ( ٢٦ ) أسدل الستار على فترة من أهم فترات التاريخ الاسلامي كانت مليئة بالجهاد والنضال كتب للماليك فيها النصر على الصليبيين والمغول . ولكنهم أخفقوا في رد عادية البرتغاليين والعثمانيين .

### انضمام الحجاز الى العثمانيين :

لم تكن الدولة العثمانية منعزلة تمام الانعزال عن الحجاز . فان حجاجها كانوا يأتون كل عام في موسم الحج الى الحرمين الشريفين . وكان سلاطين آل عثمان يرسلون الهدايا الى الحرمين كل عام . وكانوا حريصين كل الحرص على اهلاك شريف مكة بانتصاراتهم في أوروبا . وعندما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م أرسل الى شريف مكة رسالة بهذه المناسبة يبشره فيها ويطلب منه الدعاء كما أرسل اليه بعض الهدايا من غنائم الفتح ( ٢٧ ) . وفي عام ٨٨٦هـ . أدى السلطان بايزيد الثاني ( ولد سليم فاتح مصر ) فريضة الحج وتوثقت عرى المودة بينه وبين شريف مكة .

وكان العثمانيون يطعمون الى مد نفوذهم الى الحرمين الشريفين وتتوق نفوسهم الى أن ينعتوا بلقب حماة الحرمين الشريفين ، ذلك اللقب الذي اعتز به حكام مصر من المماليك وغيرهم ، وذلك لاعتلاء مكانتهم في العالم الاسلامي . وقد عبر السلطان سليم عن هذا الأمل عقب انتصاره في معركة مرج دابق

على المالكي سنة ٩٢٢هـ ودخوله حلب . فقد حضر صلاة الجمعة في مسجد حلب وخطب الخطيب باسمه وأغدق عليه لقب « خادم الحرمين الشريفين » وعندما سمع سليم هذا اللقب من خطيب المسجد طرب له . وأظهر الفرح والسرور بثلثيه بهذا اللقب وخلع على الخطيب خلعاً وأحسن إليه إحساناً زائداً (٢٨) .

وعندما أتم السلطان سليم فتح مصر أظهر حسن نواياه تجاه جماعة من الحجازيين كانوا بمصر أبان فتحها . منهم من مكة الخطيب محيي الدين العراقي الذي أنعم عليه بالإنعام الجزيل ، واستقبل قاضي قضاء مكة صلاح الدين محمد بن ظهيرة وكان من المعتقلين في مصر (٢٩) فأكرمه وعظمه . خلع عليه وأحسن إليه .

ولما أراد سليم أن يجهز جيشاً إلى الحجاز اتصل قاضي قضاء مكة صلاح الدين بن ظهيرة برجال السلطان سليم وأقنعهم بعدم إرسال هذا الجيش وأن الرأي عنده « إرسال مكتوب إلى ( شريف مكة ) ولا تبدو منه مخالفة أبداً » ولا يحتاج الأمر إلى تجهيز جيش ، فأخذ السلطان سليم برأيه . وكتب صلاح الدين رسالة من طرفه إلى الشريف يعرفه فيها بما وقع ويطلب منه إرسال ابنه محمد أبو نسي إلى السلطان سليم (٣٠) .

ونظر شريف مكة إلى الظروف والملايسات العربية والاقتصادية التي كان يعيشها الحجاز أبان الزحف العثماني بعين الخوف من المجهول . فمن ناحية كان الحجاز يمر بظروف حربية صعبة حيث تعرضت موانئه وعلى الأخص ( جدة ) لكثير من هجمات البرتغاليين الشرسة التي سبق أن أشرنا إليها. وهدد البرتغاليون بمهاجمة الأراضي المقدسة الإسلامية والعبث بمقدسات المسلمين . ولم تكن لدى شريف مكة القوات والعتاد التي يستطيع بها صد المعتدين البرتغاليين .

ومن ناحية أخرى فقد كان الحجاز يعتمد من الناحية الاقتصادية على المخصصات الثابتة التي كانت تأتيه من مصر نظراً لندرة الزراعة به وقلة موارده . فإن دولة المالكي ومن سبقها من الدول الإسلامية التي ضمت الحجاز إليها قد عملت كل منها على رصد المخصصات وحبس الأوقاف بالديار المصرية على سكان الحرمين الشريفين . فكان الحجاز بذلك يتلقى من مصر سنوياً كل ما يحتاجه من غلال إلى جانب مرتبات الأشراف والعاملين على خدمة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والتي كانت ترسل سنوياً حبة أمير الحج المصري .

هذه الظروف الحربية والاقتصادية التي كان يعيشها العجّاز ابن الزحف العثماني هي التي أملت على شريف مكة الشريف هركات قبول السيادة العثمانية ، ورد على رسالة ابن ظهيرة بأرسال وفد برئاسة ابنه أبو نسي لتقديم الولاء والاستعداد بدخول العجّاز تحت السيادة العثمانية ، وذلك لكي يضمن استمرار تدفق الثمنين من مصر ، ويضمن وجود قوة اسلامية كبرى تقف أمام الزحف البرتغالي على الأراضي المقدسة الاسلامية .

واستقبل السلطان سليم وفد الشريف هركات في القاهرة في ١٦ من جمادى الثانية ٩٢٣هـ ( ٦ من يوليو ١٥١٧م ) استقبالا حافلا وقدم أبو نسي الى سليم بعض الهدايا ، وبعض الآثار النبوية الشريفة التي كانت موجودة في مكة والمدينة ثم سلمه مفاتيح الحرمين . وهكذا تم اقرار شريف مكة بقبول السيادة العثمانية ، ومنحه سليم تفويضا بحكم « مكة المشرفة المنورة المطهرة ونواحيها وضواحيها وتوابها ولواحقها المطرات ولكل موضع كان الجنباب الكريم حاكما وضابطا فيه بمراسيم السلاطين القديمة » (٣١) ثم أمره بقتل حسين الكردي نائب جدة من طرف الماليك .

وعقب عودة وفد الشريف الى مكة قرىء التفويض على الأهالي وأمر الشريف بالقبض على حسين الكردي فأخذ مقيدا الى جدة وقتلوه غرقا في ميناء جدة في تلك المياه التي سبق له أن دافع عنها ضد الغزو البرتغالي ، وهكذا شاعت الأقدار لهذا المجاهد أن يختفي في البحر الذي شهد نضاله وكفاحه عن شواطئه منذ عام ٩١١هـ (١٥٠٥م) حتى مقتله سنة ٩٢٣هـ .

وبذلك دخل العجّاز تحت السيادة العثمانية دغولا سلميا وكان سلطان شريف مكة يمتد الى جميع بلاد العجّاز ، ومن مهامه الرئيسية العمل على تأمين قوافل الحج الوافدة الى الحرمين الشريفين من جميع بقاع العالم الاسلامي . وكان يعتمد في ذلك على صلاته بالقبائل الضاربة في العجّاز والقرية من طرق قوافل الحج . كما يعتمد على عصبته ونفوذ الديني الواسع . وكان شريف مكة يتمتع في التشريفات العثمانية بأسمى مقام في صف « المصدر الأعظم » في الأستانة و « الخديوي » في مصر (٣٢) .

أما نغر جدة فإن السلطان سليم ولى عليه نائبا جديدا بعد مقتل نائبه المملوكي . وهذا النائب الجديد هو التاجر قاسم الشرواني الذي كان من تجار مكة وسافر قبل الفتح العثماني الى مصر وصادف وجوده دخول السلطان

سليم مصر . فاتصل قاسم بالسلطان سليم وتقرب اليه بالخدمة فعينه نائبا لجدة . فوصل اليها وباشر مهام منصبه في تلك السنة ( ٣٣ ) .

وجعل العثمانيون اماره جدة تابعة لهم مباشرة يمينون لها نائبا من طرفهم بعيدا عن نفوذ شريف مكة . وذلك بسبب وضعها الحربي وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية . وأبطل العثمانيون منصب باشا مكة . وتركوا لشريف مكة السلطة على الحجاز . وجعلوا له استقلالا عن نائب جدة الا في الحالات الضرورية التي يلزم عليه أن يتعاون معه على استتباب الأمن في ربوع الحجاز لتأمين سير قوافل الحج الى الحرمين الشريفين .

وقررت السلطات العثمانية لشريف مكة أن يأخذ نصف محصول ميناء جدة كل عام ، ومن ثم فقد تسبب هذا الأمر في اثاره كثير من المشاحنات بين نائب جدة وشريف مكة ولم تهدأ هذه الحوادث بينهما طوال العصر العثماني . كما تسببت ثنائية الحكم هذه في خلق جو من الاضطراب والفتن والفوضى لا في جدة ومكة فحسب بل في الحجاز كله ( ٣٤ ) .

وهكذا حظيت الدولة العثمانية بشرف حماية الحرمين الشريفين . وأضاف سلاطين آل عثمان الى القابهم لقب « خدام الحرمين الشريفين » وظل هذا اللقب من الامور التي يحافظ عليها سلاطين العثمانيين ، وحافظوا من أجله على بقاء الحرمين الشريفين في حوزتهم . كما ورثت الدولة العثمانية أيضا نفوذ المماليك في البحر الأحمر بعد الاستيلاء على مصر وضم الحجاز . وقابلت في الوقت نفسه مشاكل البحر الأحمر التي كانت بين البرتغاليين والمماليك حول السيادة عليه والسيطرة على التجارة الشرقية . وبرزت أمام العثمانيين بمجرد ظهورهم في المنطقة قضية الدفاع عن البحر الأحمر وأصبحت إحدى القضايا الملحة التي تحتاج الى عمل حربي حاسم منهم .

وقد أثبتت حوادث الاعتداءات البرتغالية على ثغور البحر الأحمر بسرعتها وتلاحقها صدق ذلك . فقبل أن يصل نائب جدة الجديد « قاسم الشرواني » . لمباشرة مهام منصبه كان البرتغاليون قد أعدوا هجوما على جدة في عام ١٥١٧م . فقد أرسلوا حملة بقيادته نائب الملك في الهند « لوبو سوريث » الذي تولى بعد البوكيرك وكانت هذه الحملة تتكون من أربعين سفينة ومن ألفين من الجنود المسلحين . وهدف هذه الحملة هو الهجوم على جدة وتدميرها والقضاء على الاسطول المملوكي في البحر الأحمر . واقامة اتصال مباشر مع الحبشة .

ونظرا لأن هدف هذه الحملة هو جدة فانها لم تتعرض لعدن وخاصة أن أميرها ( مرجان ) قد أمد الحملة البرتغالية بالمؤن اللازمة لها وببعض المرشدين من بحارة اليمن لارشادها داخل البحر الأحمر للوصول الى جدة بعيدا عن مخاطر الشعب المرجانية ، وعلى الرغم من ذلك فقد فشل البرتغاليون أمام جدة بسبب مناعة سورها وقوة استحكاماتها التي أقامها المالك من قبل . كما فوجئوا بتغير السلطة فواجهوا العثمانيين لأول مرة فكان عليهم أن يمددوا أدراجهم كي يمددوا حساباتهم قبل مجابهة العثمانيين . وكان الرئيس سلطان العثماني بعد مقتل والي جدة حسين الكردي قد سيطر على الأمور في الثغر ريشا تصله الأوامر العثمانية ووقف أمام الهجوم البرتغالي على جدة ، وعندما انسحب البرتغاليون وأصل مطاردة السفن المرتدة عن جدة الى جزيرة كمران . وتمكنت سفنه من الاستيلاء على سفينة برتغالية وأسر بحارتها وأرسلهم الى استانبول . ووصلت القوات البرتغالية المرتدة الى عدن حيث حصلت على الامدادات اللازمة من أميرها مرجان وعادوا قافلين الى مركزهم في هرمز ( ٣٥ ) .

وكانت هذه الحملة التي هدت جدة والحرمين الشريفين كفيلة بجعل العثمانيين يفكرون بطريقة جدية في حماية البحر الأحمر والأراضي المقدسة الاسلامية من هجمات البرتغاليين المتكررة والتي أخذت تتركز بصورة ملحة على ميناء جدة الاسلامي ولكنهم بعد قليل من وصول نائب جدة الجديد قاموا بسحب الرئيس سلطان العثماني من جعدة ، فعاد الى القاهرة في شعبان سنة ٩٢٣ هـ . ومعه بعض الأسرى من البرتغاليين ( ٣٦ ) وكان تعيين الناجر قاسم الشرواني في منصب في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المدينة معناه الاسترخاء العسكري في جدة وفي البحر الأحمر الى حين . وعلى كل فهذا من الأمور التي تحتاج الى إيضاح والفاء الضوء على هذه الفترة وخاصة أن حالة الاسترخاء هذه ظلت حتى سنة ٩٤٥ هـ ( ١٥٣٨ م ) .

ولما كان المالك قد فشلوا في السيطرة على عدن لجعلها المركز الرئيسي للدفاع عن البحر الأحمر ، لذلك ألقت الظروف بثقلها على جدة لتكون مركزا للدفاع عن البحر الأحمر في بداية العصر العثماني . وأصبح لزاما على العثمانيين إعادة تحصينه وتدعيم دفاعاته التي أقامها حسين الكردي من قبل بما يتلاءم مع الوضع العسكري الجديد .

بيد أن خطوات العثمانيين ظلت بطيئة في هذا المجال حيث لم يبدأوا

العمل الجدي الا في عام ٩٤٥هـ وكان ذلك على ما يبدو بسبب انشغالهم بكثير من المشاريع العربية في اوربا وآسيا ، فقد كانوا يعملون على مد نفوذهم في كثير من المناطق الاوروبية منتهزين الحرب الايطالية التي شغلت اوربا في تلك الاثناء (١٥١٥ - ١٥٥٩م) كما كانوا يعملون من ناحية اخرى على مد نفوذهم في العراق وفارس لتوحيد العالم الاسلامي .

وفي عام ١٥٢٠م (٩٢٦هـ) توفي السلطان سليم وتولى بعده ابنه سليمان القانوني الذي جذبته أحداث اوربا وفارس حتى سنة ١٥٣٨م لكن ظلت مشاريع تأمين مدخل البحر الأحمر وتدعيم دفاعاته وأهمها جـدة من أهم الامور التي يجب أن يعمل على انجازها العثمانيون .

وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة المركزية في استانبول كانت تعني الاسترخاء العسكري في جبهة البحر الأحمر الا أن والي مصر خاير بك تولى ارسال المعدات العسكرية والقوات اللازمة لتعزيز حامية جـدة ، وذلك عندما كانت تصل الأخبار الى مصر بتحركات عسكرية للسفن البرتغالية في البحر الأحمر قريبا من ميناء جـدة .

ففي شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٤هـ أخذ خاير بك في تجهيز قوة عسكرية على وجه السرعة الى جـدة ، وذلك عندما وصلته الأخبار من العجاز على يد رسول من شريف مكة بأن سفن البرتغاليين تعيث بالبحر الأحمر قريبا من ميناء جـدة وتقوم بقطع الطريق على المسافرين مما يتسبب في الاضرار بوضع جـدة الاقتصادي ، وذكر الشريف بركات في رسالته الى خاير بك أنه يخشى على ثغر جـدة من أن تدمره السفن البرتغالية على حين غفلة فيادر خاير بك بالنزول الى ميدان الرملة بجانب قلعة القاهرة وقام باستعراض بعض القوات العسكرية ثم عين منها فرقة للسفر على وجه السرعة لنجدة جـدة ، وكانت هذه الفرقة تتكون من نحو ٢٥٠ جنديا من « المماليك الجراكسة وأولاد الناس والمغاربة وغيرهم » وكان من بينهم مجموعة من البحارة المغاربة (٣٧) .

وفي العام التالي ( رمضان ٩٢٥هـ) وصلت الأخبار الى القاهرة بأن البحرية البرتغالية قامت بتحركات جديدة حول جـدة ، فأمر خاير بك بإرسال قوة عسكرية أخرى الى جـدة مكونة من ٣٠٠ جندي من المماليك والأتراك وعين نائبا جديدا لجـدة عندما وصلته الأخبار بأن قاسم الشرواني نائب جـدة السابق جمع كثيرا من الأموال المتحصلة من الميناء واستولى على كثير من الأسلحة وهرب بها بحرا الى ميناء ( هرمز ) .

وكان نائب جدة الجديد هو ( حسين الكتيا أغاث الكمولية ) أو حسين الرومي كما تسميه بعض المراجع ، وقد أمره خاير بك بأن يتوجه على رأس القوة العسكرية الجديدة صعبة قافلة الحج المصرية ، كما أصدر خاير بك اليه أمرا بأن يضم اليه ولاية السواحل اليمنية الى جانب ولاية جدة .

ويبدو أن نائب جدة الهارب قاسم الشرواني لم يتمكن من الهرب فقد قبضت عليه القوات العسكرية وأرسلته الى القاهرة حيث سجنه خاير بك حتى ترى فيه سلطات استانبول رأيها ، فأرسل السلطان سليم باستدعائه الى استانبول في رجب سنة ٩٢٦ ( ٢٨ ) .

ولم تكد تنتهي فترة وجيزة من ارسال نائب جدة حسين الرومي حتى شب خلاف بينه وبين شريف مكة الشريف بركات أدى الى نشوب معركة حربية بين القوات العثمانية المرابطة بجدة بقيادة حسين الرومي وبين الشريف بركات وقواته تسببت في وقوع كثير من القتلى من جنود الشريف بركات كما خرج نائب جدة جريعا من المعركة ( ٢٩ ) .

وتعتبر تولية حسين الرومي ( ٤٠ ) نائبا على جدة بداية لمرحلة جديدة في سياسة العثمانيين في البحر الأحمر ، وذلك لأنهم جعلوا سلطته تمتد الى اليمن الى جانب نهايته لجدة ، ومعنى هذا بداية العمل الجدي في مدخل البحر الأحمر وعلى السواحل اليمنية ، وترتب على هذا أن زحف حسين الرومي من جدة الى اليمن ولكن لم يسلم له الماليك بسهولة وعارضه اسكندر الجركي ، وفي غضون ذلك وصل حسين الرومي في اليمن خبر وفاة السلطان سليم فرجع الى قاعدته جدة من غير قتال حتى يتضح الموقف في عهد السلطان الجديد ( ٤١ ) .

وفي غضون ذلك ظهر سلمان الرئيس في سماء جدة من جديد فقد فر من مصر بعد عصيان واليها أحمد باشا واتصل بحسين الرومي في جدة وحسن اليه الذهاب الى اليمن من جديد ولما توجه الى اليمن وأحرز حسين الرومي معه بعض الانتصارات والتف اليمنيون حول حسين الرومي ( ٤٢ ) خاف سلمان على نفسه وعاد الى مصر مرة أخرى وأخرى واليها ابراهيم باشا بإرسال عساكر معه ليدفع بها البرتغاليين كما ادعى فجهزه بنحو أربعة آلاف مقاتل توجه بهم الى الحجاز أولا .

ومما هو جدير بالذكر أن قوات سلمان هذه كانت مصدر شقاء لأهل

جدة ومكة لأنهم كانوا في مجموعهم من الصناع والأساكفة وقطاع الطرق والجهال وغيرهم من أراذل الناس ، فلما وصل سلمان الى جدة سنة ٩٣٢هـ بهذه القوات عاثوا فيها فسادا وصاروا يتعرضون للعرب وينهبون الأسواق فانقطعت المسيرة عن مكة فحصل فيها قحط شديد وغلاء عظيم بحيث صار تاريخا عند أهل جدة ومكة فكانوا يقولون : « سنة سلمان » (٤٣) وامتدت يد سلمان الى محصول جدة فأخذته كله واستولى عليه لنفسه وكان في هذه السنة (٩٣٢هـ) تسعون ألف دينار ذهباً ، ووافق على ذلك نائب جدة الجديد وهو علي بك جاويش وكان هذا المحصول نصفه للسلطان ونصفه لشريف مكة -

وفي غضون ذلك أضحت جدة المركز الرئيسي لمحاولات العثمانيين في فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر .

وفي سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م) عين العثمانيون سليمان باشا الغادم (٤٤) واليا على مصر ، فأمره السلطان سليمان سنة ٩٣٧هـ ببناء ثمانين سفينة في السويس من مختلف الأنواع والأحجام وزوده بالأخشاب والمواد اللازمة لبناء السفن من استانبول ، وفي ١٥ من المحرم ٩٤٥هـ قام بحملته الشهيرة الى اليمن وقد تمكنت هذه الحملة من السيطرة الكاملة على موانئ اليمن من جيزان شمالا حتى عدن جنوبا ، أما جهات اليمن الداخلية فقد ظلت تحت حكم الزيديين بزعامة الامام شرف الدين -

بيد أن سليمان الغادم فشل في حملته على الهند ولم يستطع أن يجابه القوات البرتغالية هناك ، وبعد فشله في الهند عاد منها وتلصقاً في طريق عودته الى استانبول خوفاً من عواقب الامور المرتقبة ومحاولة منه لتغطية فشله لدى سلطات الباب العالي فبقى في الحجاز أكثر من شهرين ( من ذو القعدة ٩٤٥هـ حتى المحرم سنة ٩٤٦هـ ) ثم قضى نحو خمسة أشهر أخرى في مصر ، عمل خلالها على نشر الدعاية الكاذبة حول انتصاره المزعوم على البرتغاليين .

وقد بقيت جدة في هذه الفترة وما بعدها مهملة بدون نائب حتى سنة ٩٤٩هـ -

وبعد فشل حملة سليمان باشا الغادم على الهند لم يفكر العثمانيون في سياسة هجومية ضد البرتغاليين وظلوا ينتهجون سياسة دفاعية قوامها السيطرة على البحر الأحمر وإغلاقه ، كما ترتب على هذه الهزيمة أيضا أن قام البرتغاليون بشن هجوم كبير في سنة ٩٤٨هـ على البحر الأحمر هدفه



تخطيط الاسطول العثماني في ميناء السويس وكانت هذه الحملة بقيادة نائب الملك في الهند وبلغ عدد سفنها أكثر من ثمانين سفينة ، وقام البرتغاليون بمهاجمة ميناء سواكن وجزر دهلك وخربوها وأسروا بعض سكانها ، كما هاجموا أيضا بعض السفن الشراعية الصغيرة في القصير والطور غير أنهم لم يجرؤوا على مهاجمة الاسطول العثماني في السويس ولاذوا بالفرار (٤٥) عائدين الى الموانئ العيشية التي أضحت قاعدة لهم .

وقد تعرض ميناء جدة لعملية تخريب أثناء مرور الحملة البرتغالية في طريقها الى السويس . وتنبه الشريف مكة أبو نسي للخطر المحدق بجدة في غيبة نائبها فترك مكة في موسم الحج وتوجه الى جدة في جيش كبير جمعه من أهل مكة والقبائل المجاورة لها وأمر المناادي بالتداعى في مكة وضواحيها : « من سحبتنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة » (٤٦) .

واجتهد الشريف أبو نسي في تلك الفترة الحرجة بجمع المؤن لقواته من جميع الأطراف فكانوا يحضرون أنواع الطعام الى جدة بأغلى ثمن وذلك لأن جدة مواردها كانت تأتي من البحر فلما حاصرها الاسطول البرتغالي اعتمد الشريف في تزويد قواته بها على المناطق الداخلية الفقيرة ، وعزت الأقوات بها وغلا ثمنها و « فرغت الحبوب » فأقبلوا على نحر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنة فاستمر ذلك مدة « وتحمس الشريف لعملية الاستمرار في تزويد قواته حتى قال : « اني نويت أن أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي فاذا نفذت الابل نحرث الغنم ثم كل حيوان يجوز أكله » (٤٧) .

ورفض الشريف أن يغادر جدة في هذه الظروف لمقاومة أطماع قواطل الحج على المدة ، وكلف ابنه أحمد أن يقابل أطماع الحج ويلبس الخلع الواردة اليه ويحج بالناس على عادة أجداده نياحة عن والده ، وبعد اتمام مناسك الحج توجه اليه أطماع الحج بجدة لالباسه الخلع فوجده شاكي السلاح لايسا درعه على هيئة المقاتل وأمر الشريف بأن تضرب المدفعية تحية لقدوم أطماع الحج عليه ، وكان من نتيجة هذا الموقف الجاد لشريف مكة في الاهتمام بالدفاع عن جدة أن أمر له السلطان سليمان بنصف « معسولم جدة » أي محصول ميناها وذلك بعد أن تمدى عليه نواب جدة في بعض السنين . وانعم عليه بكثير من المنح والهدايا .

وترتب على هذا الهجوم البرتغالي الشامل للبحر الأحمر أن فكر

العثمانيون جديا في اغلاقه في وجه البرتغاليين وقطع الاتصال بين البرتغاليين والأبحاش ذلك الاتصال الذي أفادت منه البحرية البرتغالية حيث وضمت مرافقي أمنة في البحر وضمت تزويدا لسفنها وجنودها ، ولعبت الوشيجة الدينية بين الأبحاش والبرتغاليين دورا هاما في توليد العلاقات الودية بين الطرفين حتى صارت تحالفا يضر بأوضاع البحر الأحمر الأمنية بالنسبة للمسلمين .

ونشطت السفن العثمانية في حصار السواحل الحبشية وأخذت تطوف في دوريات منتظمة في البحر الأحمر حتى جعلت عملية الاتصال بين الأبحاش والبرتغاليين نوعا من المفارقة ، كما بدا العثمانيون يدعمون قواعدهم البحرية في اليمن (٤٨) .

وهكذا يمكن القول بأنه اذا كانت حملة ( لوبو سوريز ) على جدة عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م) هي التي وجهت أنظار العثمانيين الى الخطر البرتغالي بعد فتحهم لمصر مباشرة ، فان حملة سنة ٩٤٨هـ (١٥٤١م) البرتغالية هي التي دفعت العثمانيين الى التفكير في اغلاق البحر الأحمر أمام البحرية الأوروبية بصفة عامة والبحرية البرتغالية بصفة خاصة وقد نجح العثمانيون في هذا المجال الى حد كبير .

وعندما تمكن العثمانيون من اغلاق البحر الأحمر أصبحوا يحافظون على تدعيم وجودهم العسكري في عدن من أن آخر فقد أصبحت عدن مركزا لخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين بينما أضحت جدة في هذه الفترة مركزا لخط الدفاع الثاني عن الحرمين ، وقد اتضح هذا من رسالة وجهها السلطان سليم الثاني (٩٧٤ - ٩٨٢هـ) الى قائده سنان باشا الذي وجهه لاعادة فتح اليمن في سنة ١٥٦٩م (٩٧٧هـ) وقد جاء في هذه الرسالة : « ان استردادنا لمملكة اليمن وان كان ذلك مما يتمين علينا لأنها ميراث أبينا المرحوم المقدس ، لكن جل قصدنا من ذلك انما هو حفظ ثغر عدن صونا للحرمين الشريفين على الكفار الملاعين (٤٩) » .

---

#### إضافة جدة الى ولاية العيش :

---

واصل العثمانيون تدعيم وجودهم العسكري على الشاطئ الإفريقي المقابل لسواحل اليمن ، واستمروا في هذا الصدد حتى عاجموا الحبشة في

عقر دارها بعد نجاح عملية الحصار البحري عليها وذلك لكي يكملوا جهودهم البحرية بجهود حربية داخل العبشة نفسها لمطاردة البرتغاليين هناك .

وكان نفوذ العثمانيين منذ البداية لا يتعدى حدود نيابة سواكن وزيلع اللذين ورثهما العثمانيون عن الماليك بعد استيلائهم على مصر ، وكان ( أزدرم باشا ) أول من لمس أهمية السواحل العبشية بالنسبة للسيطرة على البحر الأحمر وذلك بفضل الفترة التي قضاها واليسا على اليمن من سنة ٩٥٦هـ حتى عزل سنة ٩٦٢هـ ( ١٥٤٩ - ١٥٥٥م ) فقدم مشروعا عقب عزله من ولاية اليمن الى السلطان سليمان القانوني يقضي بإرسال حملة لتدعيم النفوذ العثماني على ساحل العبشة وتوسيع مدهاء فأرسل السلطان الى مصر لتجهيز جيش بها لهذا الغرض .

وتم اعداد جيش في مصر قوامه ثلاثة آلاف جندي زحف به أزدرم باشا الى العبشة عن طريق صعيد مصر ، ونجح أزدرم في السيطرة على بعض جهات النوبة ، واستولى على بعض الأقاليم الساحلية حول « سواكن » وأتم بذلك تكوين ما سمي : « ولاية الحبش » وأصبح أزدرم باشا أول وال لهذه الولاية حتى توفي بها سنة ٩٦٧هـ ( ١٥٥٩م ) وكانت من قبله يتوجه اليها الأمناء من مصر ، وقد خلف أزدرم في ولاية الحبش هذه ابنه عثمان ( ٥٠ ) وكانت هذه الولاية تضم المناطق الساحلية حول سواكن ومصوع .

وقد ربط العثمانيون بين ولاية الحبش وثمر جدة الاسلامي في ادارة واحدة فأضافوا ثغر جدة الى ولاية الحبش ( ٥١ ) وقد أرادت الدولة العثمانية بهذا الاجراء الإداري تدعيم متابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطئ العربي والشاطئ الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر .

ولما أصبح طريق البحر أمنا على النحو السالف غدت الأقوات المجهزة الى مكة والمدينة ترد عن طريق البحر ، فيذكر مؤرخ قافلة الحج المصرية في هذه الفترة وهو عبد القادر بن محمد الجزيري أن الأحمال المصاحبة لقافلة الحج المصرية كانت تبحر سنة ٩٦٠هـ من ميناء السويس الى مينائي جدة وينبع ، ولعل من المفيد أن نذكر أن هذه الأحمال كانت في سنة ٩٥١هـ نحو ٢٠٣٩٥ حملا وفي سنة ٩٥٢هـ كانت ٢٠٣٧٥ حملا ، ولعل من المفيد أيضا أن نذكر أنواعها فيما يلي :

من الدقيق المحزوم	حملا	٣٥٠
من البقسصات المنشف ( وزن كل حمل ٦٥٠ رطلا صافيا )	حملا	١٨٠
من الأرز المحزوم ( كل حمل اردبان وربيع اردب )	حملا	٢٠
من الكشك ( كل حمل أربعة ارادب )	أحمال	٥
من البرغل ( كل حمل أربعة ارادب )	أحمال	٥
من الباسلا ( كل حمل كضريبة الأرز في المقدار )	أحمال	٥
من الجبن العالوم ( عبارة عن ٦٠ قنطارا في اقفاص مفلقة ) *	أحمال	١٠
من العسل ( عبارة عن ٦٠ قنطارا في مزاول مفلقة )	حملا	١٢
من القفص كقرب السقائين *	حمل	٥٠٠
( زنتها أربعة قناطير يرسم الكبة شمعتان ويرسم الحجرة الشريفة شمعتان ) *	شمعات	٤
من السلب الليف يحتاج اليه في مكة	حملا واحدا	١
من الزيت السكندري معبأة في زلعتين *	قناطير	٦
من الشعير المغربي *	اردها	١٥٠
من الفول الصحيح المغربي *	اردها	٣٩٠٠

وكانت هذه الأقوات تقسم أيام المالك بين جدة وينبع لكل يندر  
منهما النصف بالسوية ، ولما كان احتياج مكة أكثر من احتياج المدينة وزعت  
إبان العصر العثماني الثلث لينبع والثلثين لجدة وهذا هو الذي كان معمولا  
به سنة ٩٦٠ هـ \*

وكانت هذه الأقوات تفرغ في ثغر جدة وتوضع في مخازن ( حواصل  
وشون ) كانت موجودة في الميناء لوضع هذه الأقوات وغيرها من البضائع لأمرء

الحج والتجارة بغير أجره ولكن شريف مكة في العصر العثماني وضع يده على هذه المغازن والشون وبناها بيتا له يسكنه زمن الموسم الهندي كما يقول الجزيري ، وفي سنة ٩٦٠ هـ احتاج أمير الحج الى موضع بالميناء توضع فيه هذه الأحمال ريثما تنتقل بدورها الى مكة ، فوضمها في فضاء كبير ( حوش ) خاص بجماعة من الأشراف على مقربة من الميناء بغير أجره ، وبمضي الزمن تظلم هؤلاء حتى عين لهم أمير الحج أجره في مقابل ذلك .

وكان على شريف مكة بعد ذلك أن ينقل منها الى مكة حمولة ألف جمل من غير أجره وماعدا ذلك اما أن ينقله أمير الحج على جماله اذا حضر أو يجهز له شريف مكة جمالا بالأجره تنقله الى مكة ، وأما أمير ينبع فليس عليه سوى احضار الجمال فقط وأما أجرتها فعلى أمير الحج لكل جمل نصفان من الفضة ( ٥٢ ) .

### الخلاصة :

نستطيع من هذه الدراسة السريعة أن نبين أهمية هذه المرحلة من تاريخ جدة فيما يلي :

١ - في مطلع القرن العاشر الهجري أصبحت جدة غرضا مستهدفا للاستعمار البرتغالي بعد أن ضعفت القوى الاسلامية في المنطقة وظهرت أهميتها في الدفاع عن مكة حتى أصبحت رباطا للمجاهدين وأفتى علماء المسلمين بأنها أهم رباط في الاسلام فقالوا : « ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك أن يتوي الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق ويصحب معه شيئا لدفع أهل الكفر والعناد » وقالوا بأن ثغر جدة أفضل الثغور لاضافته الى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا من كل محذور ، وأن فضل مرابطيه على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان في سائر الأزمان والدهور ، ويغفر الله للناس من مد بصره مما يلي البلد ، ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة » ( ٥٣ ) .

٢ - أن المماليك على أيام السلطان قانصوه الغوري هم أول من رسم سياسة حربية دفاعية لثغر جدة الاسلامي بما يتناسب مع أهمية مكة في قلوب المسلمين في جميع بقاع العالم الاسلامي ، فعصنوها بكل وسيلة وبناوا

سورها العظيم وحفروا حوله خندقا كبيرا وزودوها بالأسلحة والمرايطين للدفاع عنها في أية لحظة طارئة ، فجعلوا منها بذلك مركزا لخط الدفاع الثاني بعد عدن للدفاع عن الحرمين الشريفين ضد الهجمات البرتغالية ، كما جعلوا منها مركزا دفاعيا متقدما للدفاع عن الأراضي المصرية .

٣ - عندما ورث العثمانيون أملاك الماليك في المنطقة سنة ٩٢٣هـ ساروا على مدى الخطط المملوكية في الدفاع عن البحر الأحمر والاهتمام بشفر جدة بيد أنهم أبطأوا في أعمالهم الحربية حتى عام ١٥٣٨ (٩٤٥هـ) فني تلك السنة تمت لهم السيطرة على سواحل اليمن وأرسلوا حملة الى الهند بقيادة سليمان الخادم لم يتمكن من عمل شيء أمام النفوذ البرتغالي الذي تمكن من تجارة الهند والسيطرة على البحار الشرقية .

٤ - بعد عام ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) كانت سياسة العثمانيين دفاعية في البحر الأحمر ولم يفسكروا في اجتيازه الى الهند لمنافسة النشاط التجاري البرتغالي أو غيره من نشاطات الدول الاستعمارية الغربية الاخرى التي بدأت تظهر في مياه البحار الشرقية .

٥ - بيد أنهم استطاعوا ( بعد سيطرتهم على عدن وغيرها من موانئ البحر الأحمر ) اغلاق البحر الأحمر أمام السفن الاستعمارية وجعلوه بحيرة اسلامية مغلقة بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة الاسلامية ، فكان على مثل هذه السفن أن تفرغ حمولتها في موانئ اليمن الجنوبية وتقوم السفن الاسلامية بحمل هذه التجارة الى داخل البحر الأحمر ، وجعلوا من السواحل اليمنية قاعدة لخلق البحر الأحمر فقط ولم تعد نقطة انطلاق لحملات كبيرة الى الهند أو الى البحار الشرقية ، وتجنب البرتغاليون اثاره الدولة العثمانية منذ ظهر نفوذها في البحر الأحمر فأصبح نشاطهم فيه محدودا خوفا من أن توجه الدولة العثمانية نشاطها الحربي الى الهند ، وخاصة أن البرتغاليين كانوا يدركون مدى قوة الدولة العثمانية في ذلك الحين ، وذلك باستثناء بعض حملاتهم مثل حملة سنة ٩٤٩هـ التي كانت ردا على حملة العثمانيين بقيادة سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٥هـ .

٦ - عندما تم للعثمانيين السيطرة على سواحل الحبشة في البحر الأحمر وأنشأوا منها ولاية كانت تسمى بولاية الحبش قاعدتها سواكن

(٩٦٢ - ٩٦٧هـ) ربطوا بين هذه الولاية وثمر جدة الاسلامي في ادارة واحدة فأضافوا ثمر جدة الى ولاية الحبش فكانما كانت مهمة هذه الولاية هي متابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطئ العربي والشاطئ الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر .

دكتور

فائق بكر الصواف

أستاذ التاريخ الحديث المساعد

ورئيس قسم التاريخ بكلية

الشريعة والدراسات الاسلامية

جامعة الملك عبد العزيز-مكة المكرمة

دكتور

مصطفى محمد محمد رمضان

أستاذ التاريخ الحديث المساعد

بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية

جامعة الملك عبد العزيز-مكة المكرمة



## المصادر

- ١ - يذهب بعض المؤرخين الى ان جدة كانت قبل ذلك نفرا معتمدا على ملاكره ابن جبع في رحلته من انه رأى اثر سور معلق بها ، وماذكره ابن فهد في كتابه : « اتحاف الوري بأخبار أم القرى » من ان بجدة اثر رسوم قديمة تدل على قدم احتطاطها وانها كانت مدينة كبيرة زمن سيطرة الفرس وان سلمان الفارسي رضي الله عنه واهله سكنوا فيها لانهم كانوا قوما تجارا وهم الذين بنوا سورها الاول وكان ماء البحر ينفور حولها وهي يومئذ شبه جزيرة وسط لجة البحر .
- انظر : عبد القادر أحمد بن فرج ، « السلاح والعدة في تاريخ جدة » مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ٢٨ تاريخ دهلوي ص ٨ .
- وانظر أيضا : أحمد الضراوي ، الجواهر المدة في تاريخ جدة ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ٢٧ تاريخ دهلوي ، ص ٧ - ٨ .
- ٢ - انظر : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيري ، درر القوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المظلمة ، طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ ، ص ٢٨٣ .
- ٣ - بطل منصب « باش مكة » منذ الفتح العثماني ، وصارت بعض اختصاصاته يقوم بها نائب جدة كما سيأتي بيان ذلك .
- ٤ انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ .
- ٥ - انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، على هامش كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٠٥هـ ، ص ١٥٢ .

٦ - رأس الرجاء الصالح كان اسمه قبل هذه التسمية « رأس العواصف » وذلك لكثرة ما به من عواصف ، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه « رأس الرجاء الصالح » وذلك بعد أن نجح البرتغاليون في اجتيازه ، لأنه فتح باب الرجاء والأمل أمامهم في الوصول الى الهند .

انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ص ٦٣٠ هامش ٤ .

٧ - نجح البرتغاليون بقيادة فاسكودا جاما في الوصول الى الهند سنة ١٤٩٨ م ، بفضل رئيس البحر الملاح أحمد بن ماجد الذي أرشدهم الى الطريق الصحيح ، وابن ماجد له مؤلفات قيمة في الملاحة بعضها في المكتبة الأهلية في باريس وبعضها في مكتبة ليننجراد ، وغيرهما ، وقد نشر بعض هذه المؤلفات وعلق عليها المستشرق الفرنسي جيريل فران والمستشرق الروسي « تيودور شومولسكي » وأيدوا جميعا ما ذكره قطب الدين النهروالي في كتابه « البرق اليماني » من أن فاسكودا جاما لم يتمكن من الوصول الى الهند الا بفضل أحمد بن ماجد الملاح الذي صاحبه في الوصول الى الهند مرشدا لهم .

انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، طبعة دار اليمامة بالرياض ص ١٨ - ١٩ ويحيى بن الحسين ، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ص ٦٣٠ - ٦٣١ هامش ٥ ، و « أنور عبد المليم » القوائد في اصول علم البحار والقواعد ، لأحمد بن ماجد ، بحث نشر في مجلة تراث الانسانية ، المجلد الخامس عدد ٤ ص ٢٧٤ ، وكذلك لنفس المؤلف كتاب : ابن ماجد الملاح من سلسلة اعلام العرب ، رقم ٦٣ .

١٨ - انظر : « عبد العزيز الشناوي ، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، الطبعة الاولى ، القاهرة سنة ١٩٦٩ ، الجزء الأول ص ٩٤ .

٩ - عبر عمانويل ملك البرتغال ( ١٤٩٥ - ١٥٢١ م ) عن أغراض الحملة الاولى في خطبة طويلة جاء فيها : « أن الغرض من اكتشاف الطريق البحري الى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق » .

انظر : « السيد مصطفى سالم الفتح العثماني الأول لليمن ، الطبعة الثانية ، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة سنة ١٩٧٤ ص ٤٦ - ٤٧ .

١٠ - جزيرة سقطرة أو ( سقطرة ) تقع بالقرب من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية الى الشرق من عدن ، وهي جزيرة جبلية وعرة قليلة السكان تنتشر حولها الشعب المرجانية ولكن لها أهمية استراتيجية لمن يريد التحكم في مدخل البحر الأحمر .

١١ - انظر : ابن أبياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ( ١٩٦٠ - ١٩٦٣ ) الجزء الخامس ص ٢٠٣ .

١٢ - المصدر السابق ، ج ٤ ص ٨٤ - ٨٥ .

١٣ - مؤلف كتاب السلاح والعدة في تاريخ جدة ، هو الشيخ عبد القادر بن أحمد ابن فرج الشافعي من أهل جدة وخطيب مسجدتها ، ولد بها ونشأ وكانت وفاته في سنة ١٠١٠هـ وعاصر بداية الفتح العثماني .



انظر : مجلة المثل الجلد السابع ص ٤٤٤ والاعلام للزركلي ج ٤ ص ١٦٢ .  
و خلاصة الآثار للمعطي ج ٢ ص ٤٣٥ .

١٤ - بنو ابراهيم أشهر القبائل التي كانت تسكن يومئذ بين ينبع ومكة . وكانت السلطات المصرية توكل اليهم حراسة قافلة الحج المصرية في بعض مراحل الطريق وفيما بين سنة ٩٠٧ . وسنة ٩١١ هـ قام اعراب بني ابراهيم بكنج من اعمال السلب والنهب للحجاج بيت الله الحرام متضامتين مع امر ينبع يحيى بن سبع واشتد امرهم في سنة ٩١١ هـ فامر القوي بإيقاف عملية الحج في هذه السنة .

١٥ - كان يطلق على دار النيابة التي هي مقر نائب جدة « فرسة السلطان » .  
١٦ - انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والمعدة . مصدر سبق ذكره .  
ص ٢٠ - ٢٢ .

١٧ - نص الشيخ عبد القادر بن فرج على أن هذا الذراع هو ذراع العمل وأضاف أنه أي ذراع العمل هذا ذراع ونصف بذراع التجار ، وبالرجوع الى علي مبارك في خطته وهو اهم مصدر تعرض لتقدير الأطوال تبين لنا أن ذراع التجار التي أشار اليها بن فرج تبلغ ٧٧ر٥ سم فتكون ذراع العمل التي قدر بهسا ابن فرج أبعاد سور جدة هي :  
٧٧ر٥ سم × ١ر٥ = ١١٦ر٥ ستيمتر .

١٨ - انظر عبد القادر بن فرج ، السلاح والمعدة ، ص ٢٢ .  
١٩ - انظر : احمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ ص ٥١ .  
٢٠ - « كمران » جزيرة بالبحر الأحمر تجاه زبيد باليمن وهي حصن لمن ملك تهامة اليمن ( ياقوت - معجم البلدان ) كما أنها محطة بحرية هامة بين عدن وجدة .  
٢١ - انظر : د- السيد مصطفى سالم ، الفتوح العثمانية الاولى لليمن .  
ص ٧١ - ٧٤ .

٢٢ - انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .  
٢٣ - انظر : قطب الدين التهرتالي ، الاعلام بأعسلام بيت الله الحرام .  
ص ١٦٥ - ١٦٧ .

٢٤ - كان فرسان القنيس يوحنا يسيطرون على بعض الجزر في شرقي البحر المتوسط ويتمركون في جزيرة رودس وكانوا يشنون الهجمات القنصية على الموانئ الاسلامية وخاصة المصرية ، ولماوا بكنج من اعمال القرصنة البحرية في مواجهة السفن الاسلامية . وكانوا يعمدون هذه الاعمال العدوانية من قبيل الجهاد الديني وظلوا في جزيرة رودس حتى اجلاهم السلطان سليمان القانوني عنها سنة ١٥٢٢م الى غرب البحر المتوسط وتمركونوا في جزيرة مالطة الى أن قضى على نفوذهم بونابرت وهو في طريقه الى مصر سنة ١٧٩٨م .

انظر : الهجمات المتكررة لهؤلاء القراصنة على لغور مصر في كتاب ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٤ ص ١٤٥ ، ١٤٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٠ .  
٢٥ - انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٤ ص ٣٥٩ .  
٢٦ - محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، طبعة بولاق ، القاهرة ،  
ص ٧٥ - ٧٦ .

- ٢ - انظر ساطع العصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٦ - ٢٧ .
- ٢٨ - انظر : قطب الدين التهراني ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .
- ٢٩ - كان السلطان الغوري قد طلب من القاضي قضاة مكة ابن ظهيرة عشرة آلاف دينار فمجز القاضي عن سدادهما فامر الغوري بالقبض عليه وحمله الى مصر واعتقله بها ، وعقب هزيمة الغوري في موقعة مرج دابق أخرجه طومان باي من السجن ونقل في مصر حتى قابل السلطان سليم .
- انظر : أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٥٠ .
- ٣٠ - المصدر السابق نفس المكان .
- ٣١ - انظر : نص الرسالة التي أرسلها السلطان سليم للشريف ، وقد ترجمها الى العربية الدكتور أحمد فؤاد متولي ونشرها في أحدث كتاب نشر عن « الفتح العثماني للشام ومصر » بالظاهرة سنة ١٩٧٦م ، ويمتاز هذا الكتاب بكثرة من الوثائق التي لرجعها المؤلف من التركية الى العربية وقد استقاها من الأرشيف التركي وغيره من المصادر التركية ( انظر الوثيقة رقم ٣٠ في ملحق الوثائق لنفس الكتاب ) .
- ٣٢ - انظر : ساطع العصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٤١ .
- ٣٣ - انظر : قطب الدين التهراني ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩١ .
- وانظر ايضا ، أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص ٥١ .
- ٣٤ - انظر : علي سبيل المثال ماحدث من حروب بين الشريف مكة ووالي جدة في سنة ١٠٧٩هـ وسنة ١١٨٤هـ ومابعدها في كتاب : خلاصة الكلام لأحمد بن زيني دحلان .
- ٣٥ - انظر : دة السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .
- ٣٦ - انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، حوادث شعبان ٩٢٣هـ ج ٥ ص ٢٠٣ .
- ٣٧ - انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٢٦٢ .
- ٣٨ - المصدر السابق ، ج ٥ ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٢ .
- ٣٩ - المصدر السابق ، ج ٥ ص ٣٣٠ .
- ٤٠ - كان حسين الرومي هذا من الأمراء الذين وردوا مع السلطان سليم الى مصر وكانت له وجهة على خاير بك والي مصر فلوله تباينة جدة وأضال اليه اليمن .
- ٤١ - انظر : قطب الدين التهراني ، البرق اليمني ، ص ٣٤ .
- ٤٢ - لم تطل الأمور بحسين الرومي في اليمن فلم يزل أن توفي بعد عرض طويل في سنة ٩٢٢هـ ودفن باليمن ( انظر المصدر السابق ، ص ٤٢ ) .
- ٤٣ - المصدر السابق ص ٤٢ - ٤٤ .
- ٤٤ - كان سليمان الفارم أحد معاليك السلطان سليم الأول ومن المقربين اليه ونقل واليا على مصر حتى فاجدها الى العراق لاشتراكه في فتح بغداد سنة ١٥٣٤م لم بدأت ولايه الثانية لمصر سنة ٩٤٣هـ واستمر حتى خرج منها عن رأس حملة بحرية لفتح اليمن سنة ٩٤٥هـ ( ١٥٣٨م ) .
- ٤٥ - انظر : دة السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

- ٤٦ - انظر : احمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ص ٥٣ .
- ٤٧ - المصدر السابق - نفس المكان .
- ٤٨ - انظر : د. السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الاول لليمن ، ص ٤٠٠ .
- ٤٩ - انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليمني في الفتح العثماني ، ص ٢٣٣ .
- ٥٠ - انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليمني في الفتح العثماني ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- ٥١ - انظر : سامط العصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
- ٥٢ - انظر : عبد القادر بن محمد الجزيري ، دور الفوائد المتظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠١ - ٤١٦ .
- ٥٣ - انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة في تاريخ جدة ، ص ٢ ، ص ٢٨ .